

الثناء الصادق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

إخوتي الكرام لا أبالغ إذا قلت أننا نفتقر بشدة لخلق الثناء الصادق. مالذي أعنيه بالثناء الصادق؟ إنه المديح المخلص الذي يخرج من القلب نتيجة لسمو خلق أو موقف نبيل بدر من شخص الممدوح. كثير من الناس يبخل على غيره بالثناء تجنباً للمديح المذموم على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم عن المقداد رضي الله عنه قال (أمرنا رسول الله أن نحثي في وجوه المداحين التراب) لكنه لا ينطبق على كل مدح ، قال الخطابي : المداحون هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح ويفتنونه ، فأما من مدح الرجل على الفعل الحسن ترغيباً له في أمثاله وتحريضاً للناس على الاقتداء به في أشباهه ، فليس بمداح " انتهى. ويتضح هذا من فعل النبي فقد مدح أبا بكر ، ومدح عمر ومدح جمعاً من أصحابه في وجوههم لأنه كان يأمن عليهم الفتنة ويكلهم إلى دينهم. وعلامة المديح الممجوج أن كلاً من المادح والممدوح والسامع للمديح يشك في قرارة نفسه بصدق هذا المادح ويرجح أن لعاعة من الدنيا تراد من هذا المديح.

ومن المفارقات أن المجتمعات التي يطغى فيها المديح الممجوج يقل فيها الثناء الصادق والعكس صحيح أيضاً ولأن العملة الجيدة تطرد العملة الرديئة كما يقال فمن الأهمية بمكان أن نشجع الثناء الصادق ومن مميزاته ومواصفاته ما يلي:

*أن يكون صادقاً . فما خرج من القلب فإنه سيلج القلب بلا استئذان. والصادق في ثنائه يريد شحذ همة الممدوح وتشجيعه على المزيد من العطاء وكذلك إيراد المثال الحي أمام الناس لمن شاء أن يقتدي.

*أن يكون محدداً ودقيقاً قدر الإمكان، فما أجمل أن ينتقي المادح صفة معينة ويثني عليها لأنه يستحيل على إنسان أن يكون كاملاً في صفاته من كل وجه ثم إن هذا التحديد أعظم تأثيراً في نفس الممدوح وخصوصاً إذا وافق في توقيته حدثاً تجلت فيه بوضوح هذه الصفة الجميلة أو رأى أن الممدوح قد كبا به جواده فيحتاج لأن ينهض من عثرته .

*لا يشترط بل لعله من الأفضل في أغلب الأحوال ألا يلحق الثناء بالانتقاد في نفس الموقف فلكل مقام مقال . وبالطبع فعندما يُحتاج إلى الانتقاد فلا بد من أن يُمزج بالثناء الصادق وهو ما يسمى بالنقد البناء .

*يوصي علماء النفس بشدة ببذل الجهد والوقت في اكتشاف ودعم جوانب التميز في كل إنسان بدلاً من الانغماس المبالغ به في تتبع العيوب وترقيع السلبيات . وسبب هذا التوجه الحديث نسبياً أن الدراسات بينت أن غالبية العظماء لم ينجحوا لأنهم أضاعوا غالبية أعمارهم في معالجة نقاط الضعف لديهم بل لأنهم استغلوا جوانب القوة لديهم. والطبع كما يقال يغلب الطبع. ولذلك فالمصطفى صلى الله عليه وسلم أثنى على أصحابه كل بما تميز به فخالد بن الوليد الفارس قبل الإسلام يصفه بأنه سيف من سيوف الله وعمر بن الخطاب المهيب في قومه قبل إسلامه يثني عليه بأن الشيطان يفر منه وهكذا.

*من أعظم الثناء وقعاً في النفس أن تذكر صادقاً تأثير الممدوح عليك في خلقك وحياتك ككل، فكأن جزءاً منك قد تشكل بتأثير من الممدوح . وياله من شعور جميل عندما يُسر الممدوح بوجود أثره واتصال خيره حال حضوره و حال غيابه.

*شبه المصطفى صلى الله عليه وسلم المؤمن بالنحلة لأنه يقع على مواطن الجمال كالزهور وليس كالذباب الذي لا يقع غالباً إلا على الجرح. وكلما زادت عظمة الإنسان زاد ثناؤه الصادق فصار كمن يغرف من بحر وليس كمن ينحت من صخر. وتجد قلبه أبيضاً مغموراً بالسعادة وهو يحسب نجاحات الممدوحين من نجاحاته ويحتسب أجر ذلك عند الله.

*من أعظم الثناء صدقاً وتأثيراً ما وجه للقرناء ومن هم أقل من المادح شأواً وجاهاً عند الناس. فلكم غيرت كلمة ثناء صادقة مجرى حياة أناس كثيرين وللشيخ محمد المنجد شريط جميل ذكر فيه قصصاً للناجحين من السابقين والمعاصرين ولولا خشية الإطالة لذكرت بعضاً من قصصه.

أختم بإيماءة سلوكية فمن أراد أن يكون من أهل الثناء الصادق فما عليه إلا أن يخصص يوماً في الأسبوع وليكن في نهايته ويختار شخصاً من دليل الجوال أو البريد الإلكتروني أو ممن يقابلهم في حياته اليومية ويزجي له ثناء صادقاً بكلمات محددة و مختصرة وأنا ضمين له بالعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتبه أخوكم/ فهد العصيمي